مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية

تصدرها جامعة صبراتة بشكل الكتروني

الثقافة العربية في غرب أفريقيا: نيجيريا نموذجًا

Arabic Culture in West Africa: Nigeria as an Example

أ.د. موسى عبد السلام أبيكن

أستاذ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ولاية كوغي، نيجيريا

د. أحمد محمد كامل

أستاذ المساعد، كلية الآداب، جامعة ولاية كوارا، نيجيريا

رقم الايداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الألكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

الثقافة العربية في غرب أفريقيا: نيجيريا نموذجًا
Arabic Culture in West Africa: Nigeria as an Example

موسى عبد السلام أبيكن
الأستاذ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ولاية كوغي، نيجيريا
musaabikan@gmail.com
أحمد محمد كامل
الأستاذ المساعد، كلية الآداب، جامعة ولاية كوارا، نيجيريا
mohammadkamelahmad65@gmail.com

ملخص البحث:

للغة العربية أهميةٌ كبيرةٌ في غرب أفريقيا، ولها تاريخٌ قديمٌ في المنطقة عبرت الثقافة العربية الصحراء الكبرى من شمال أفريقيا إلى غربها بسبب العلاقات التجارية بين أفريقيا، وسكان غربها. وكانت هذه التجارة ـ على مايقال ـ نقطة انطلاقٍ للغة العربية وآدابها في أفريقيا الغربية. لقد ناقش البحث خمس نقاطٍ أساسيةٍ لها علاقةٌ مباشرةٌ في تطوير الثقافة العربية بالمنطقة تتمثل في المدارس القرآنية، ومدارس تحفيظ القرآن، والمعاهد العربية الإسلامية، والمدارس العربية النظامية الحديثة، و دور أساتذة اللغة العربية في الجامعات النيجيرية. يهدف البحث إلى تقدير جهود علماء غرب أفريقيا اتجاه الثقافة العربية بصفة عامة، وعلماء نيجيريا بصفة خاصة. والمنهج المتبع استقرائي. توصل البحث إلى أن المدارس العربية بالمنطقة، لها إسهامٌ فريدٌ، ودورٌ حيويٌ في بقاء الثقافة العربية في أفريقيا الغربية بشكل عام، وفي نيجيريا بشكل خاص.

Abstract:

Arabic Language has a significant role in West Africa because of its old history in the region. Arabic cultures passed the large Sahara and reached the west from the north through commercial contact between traders which paved the way for Arabic Language and its literature in the entire region. This article discusses five major areas which have a significant impact on Arabic culture development. These areas include; Quranic Schools, Quran memorization schools, local Islamic schools, modern Arabic schools and the role of Arabic instructors in Nigerian universities. The objective of this research, therefore, is to appreciate west African scholars; especially the Nigerians' efforts in developing Arabic culture. The inductive approach was used in this study and the findings revealed that Arabic schools in the region have a unique role and a vital contribution in Arabic culture surviving in western Africa, in general, and in Nigeria in specific.

المقدمة:

كانت هناك علاقةٌ تجاريةٌ قديمةٌ ـ كما هو معروف ـ بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم (المغرب)، وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. فالتجارة ـ بطبيعة الحال ـ تستلزم معها إيجاد لغةٍ للتخاطب بين البائع والمشتري، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية، فمن الطبيعي، أن تكون هي اللغة المستعملة بين التجار في ذلك الزمن[1]، فهذه العلاقة التجارية هي التي وضعت الحجر الأساس للغة العربية في أفريقيا، وقد بدأ التجار آنذاك يدخلون كلماتٍ وتعابير عربيةً في تلك المناطق، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في ربوع أفريقيا، واندمج بعضها في اللغات المحلية، لاسيما بعد انتشار الإسلام[2]، ويؤكد ذلك وجود كلماتٍ عربيةً كثيرةً في بعض اللغات الأفريقية[3]، وبالإضافة إلى ذلك، إن اللغة العربية راجت تجارتها بدون منافسة إذ كانت لغةً وحيدةً في الميدان لفترةٍ لا تقل عن أربعة قرون، وذلك قبل اعتداء الدول الغربية على أفريقيا بلغاتها[4]، فقد أثبت المؤرخون غير المسلمين أن كتابة تاريخ أفريقيا بصورةٍ كاملةٍ وصحيحةٍ، لا تتم إلا بالرجوع إلى ما سجله علماء اللغة العربية عن أفريقيا.[5]

بداية انتشار اللغة العربية في غرب أفريقيا:

انتشرت اللغة العربية في غرب أفريقيا مع انتشار الإسلام فيها، وتأسست الممالك والدول التي اشترك فيها العرب والعجم في غانه، ومالي، وسنغى، وبرنو، واعتنى الملوك بشأن التعليم، واستعانوا بالعلماء في تفهم أمور الدين، وتطبيق الشريعة وفروعها، فقصدوا بلاد العرب المجاورة لهم، للاستفادة، واستقدموا إلى بلادهم العلماء العرب؛ لنشر العلوم بينهم، حتى نبغ الكثيرون، فألفوا الكتب، وكتبوا الشعر في الأغراض التي تناسب بيئتهم[6].

ويرجع مبدأ التعليم العربي في غرب أفريقيا إلى وقت دخول الإسلام فيها، وصار يقوي مع قوة الإسلام حينًا، ويضعف مع ضعفه حيناً آخر، كما هو واقعٌ في مختلف البلاد. وذلك لأن المسلمين يلزمهم أن يؤدوا صلواتهم المفروضة كل يومٍ وليلةٍ بسورٍ من القرآن وآياته كما أنهم يقيمون الصلاة، ويأتون في كل هيئة من هيئاتها بألفاظٍ عربيةٍ، من آذانٍ، وإقامةٍ، وتكبيرٍ، وتسميعٍ، وتهليلٍ، وتشهدٍ، لا تتبدل تلك الألفاظ بسواها[7]. ولا يكاد إنسانٌ يعتنق الإسلام حتى يسرع إلى تعلم هذه الكلمات العربية، ثم إلى تعلم القرآن، وبالتالي، يقوم بعضهم إلى درس العلوم، وقواعد اللغة ليتم له فهم القرآن وما إليه، وبذلك، يصير للمسلمين في كل بلد في غرب أفريقيا مدرستان:

أولاهما: المدارس القرآنية للأطفال الصغار (الكتاتيب).

ثانيهما: المعاهد العلمية للكهول والشيوخ الكبار[8].

وهكذا انتشرت اللغة العربية بسهولةٍ، وصارت لغة العلم ، والأدب، والتاريخ في غرب أفريقيا كما صارت في بلاد الفرس، والهند، والترك، وامتد التعليم من شمال أفريقيا إلى غربها، وأنشئت معاهد عالية في هذه الأقطار[9].

وهكذا انتشرت اللغة العربية وعلومها في غرب أفريقيا برفقة الإسلام، وذلك لأن اللغة العربية كانت تتبع آثار الإسلام ولا تفارقه، وتهاجر معه أينما هاجر، وذلك بفضل القرآن، وعن طريق التعليم، والدعوة إلى الإسلام، ونشر محاسنه، ومعالم ثقافته، وقد أسهمت المدارس القرآنية في نشر الثقافة العربية في أفريقيا الغربية لأنها بمثابة المدارس الأولية، والمدارس الوحيدة التي يملؤها التلاميذ، واستطاعت أن تعد للقرآن قراءً، وللغته العلماء والكتاب[10].

الثقافة الغربية في أفريقيا:

لا تكاد قدم الإسلام تثبت في بلد من بلاد غرب أفريقيا حتى تتأثل ثقافته في أرضه، ولا تلبث حتى تنبت في أرجائها مدارس على اختلاف مشاربها ومناهلها ومستوياتها، أولاها:

1- المدارس القرآنية: تنقسم مدارس القرآن إلى قسمين: فالأول هو القسم الذي يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير حفظ، فهذه المدرسة بعد المرحلة الابتدائية، والأكثر انتشارًا في البلاد، نعطيها الأولوية في الحديث عنها في هذا البحث قبل غيرها لأنها بمثابة الأساس الذي تبنى عليه المراحل اللاحقة.

يلتحق الولد أو تلتحق البنت بهذه المدرسة عندما يبلغ أو تبلغ من العمر خمس سنواتٍ، ويطلق عليها في العرف المحلي بـ(مدرسة اللوح)؛ لأن الصبيان يتعلمون قراءة القرآن فيها وهو مكتوب على هذه الألواح. فهذا النوع من المدارس لا حصر له؛ لأنه قلما يجد المرء ولدًا أو بنتاً لم تلتحق أو يلتحق بها، إذ إن ضمير الأب المسلم لا يرتاح إلا بعد أن يدخل ولده أو بنته فيها[11] يرتادها التلاميذ صباح مساء في بيوت العلماء حتى يكملوا قراءة القرآن سرداً، وإذا ختموا القرآن، أقاموا للختم وليمةً فاخرةً في المدرسة، يحضرها زملاء التلاميذ ليشاركوه الفرح بهذه البراعة، وليرغبوا الآخرين في الجد والاجتهاد حتى الختم، ثم يختار التلميذ ما يروقه من مسالك الحياة، أو يعود إلى مسلك والده تاجراً أو زارعاً أو صانعاً أو عالماً[12]، وكان أبناء غير العلماء يكتفون غالباً بالقرآن فقط في هذه المرحلة، أما أبناء العلماء، فإنهم يضيفون إلى القرآن تعلم الكتابة، ومبادئ التوحيد، والفقه ليكونوا من الصغر على بصيرة من أمور دينهم الضرورية، وليفهموا ما يقولونه في صلواتهم اليومية من آذانٍ، وإقامةٍ، وتهليلٍ، وتكبيرٍ، وتشهدٍ، وتسبيحٍ، وقنوتٍ[13]، على أن التزام الإسلام للعربية في تأدية الصلاة، وفي التعبد بتلاوة القرآن خارج الصلاة، جعل لها قدسية كبرى في نفوس المسلمين، وجعلهم يعتبرون تعلمها ومعرفتها فضلاً، وشرفاً، وسعادةً، ودرجةً، أو ديناً وعبادةً[14].

هذه الطريقة تأخذ الولد أربع سنواتٍ أو أكثر قبل أن يختم القرآن كله، وهنالك سورٌ معينةٌ، وأحزابٌ يطالب المعلم أبا الطالب بالتصدق له بطعامٍ أو شاةٍ أو خروفٍ إذا وصل إليها. وهذه الصدقة طبعاً تذهب

إلى المعلم نفسه، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن معظم الآباء أو أولياء الأولاد، لا يعطون هذا المعلم شيئاً في مقابلة تعليمه لأولادهم؛ لذلك اخترع المعلمون هذه الطريقة، وأوهموا الآباء أن عدم القيام بهذه الصدقة، يجعل الولد غبياً، وثقيل الفهم، لذلك، فإن الأولاد أنفسهم يلحّون على آبائهم في إعطاء هذه الصدقة ليفتح الله عليهم، ويزيدهم حدة الذكاء[15].

ولم تكن تلك المدارس تخضع لأي نظام موضوع، فليس للحكومة عليها يدٌ، وباستطاعة أي إنسان أن يفتتحها ويدرس فيها إذا حفظ بعض السور القرآنية، وتعلم الكتابة والقراءة، وليس بشرطٍ أن يحفظ القرآن كله[16].

2- مدارس تحفيظ القرآن: تقع معظم هذه المدارس في شمال نيجيريا، وإن كان عددها قليلاً بالنسبة إلى الكتاتيب، ولا يلتحق بها الولد في الغالب إلا إذا أتم مرحلة الكتاتيب. وطريقة الحفظ هي أن يكتب التلميذ الثمن الأول من سورة البقرة على لوحة، ثم يأتي به إلى المقرئ الذي يقرئه إياه بدقةٍ، مشيرًا إلى جميع أماكن المد، والإدغام، والوصل، والوقف، ومخارج الحروف، وما إلى ذلك، ثم ينصرف التلميذ لحفظ هذا الثمن حتى إذا أتقن حفظه، عاد إلى المقرئ وأسمعه إياه، فإذا اقتنع به أمره بالمضي إلى الثمن الذي يليه، وهكذا حتى يحفظ القرآن كله. وتختلف مدة الحفظ حسب اختلاف قوة ذاكرة التلميذ، ولكنها في الغالب تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس، وربما زادت على ذلك[17].

وقبل أن يتخرج التلميذ من هذه المدرسة، يطلق عليه لقب" الحافظ"، فلا بد له من النجاح في الامتحان كله، فيذكر له المقرئ أول آية ثم يطلب إليه أن يواصل القراءة منها، وهكذا، يستمر ذلك أيامًا، والحق أن حفظهم للقرآن حفظ متقن للغاية إلا أنه ينقصهم جهلهم المطبق بمعناه، ولكن هناك عدد لا يستهان به من يجمعون بين الحفظ، ومعرفة المعنى. وبين الحافظ من يلقب نفسه بماي الستين[18].

إن لمدارس تحفيظ القرآن في غرب أفريقيا أثر إيجابي، وغبطة يا لها من غبطةٍ لدى المسلمين الغيورين على دينهم. وقد ازدادت هذه المدارس بازدياد التوعية الإسلامية الناجمة من الناشئين من جهة الشبان والشابات ولاسيما بعد إعلان بعض الولايات الشمالية النيجيرية بتطبيق الشريعة الإسلامية في ولاياتهم ومحافظاتهم، فتكاثر عددها في عواصم البلاد التي كثر فيها المسلمون حبًا في القرآن، وتعظيمًا لجلاله، وترغيبًا في الفهم بمضمونه. ويبلغ عدد الحفاظ والحافظات إلى مئات الحفظة من كل ولاية على وجه تقدير[19]، ومن الأهمية بمكان أن التسهيلات الحديثة من الشرائط المسجلة المنتشرة في العالم بأسره بأصوات مختلفة للقراء المشهورين في العالم العربي قد ذللت معظم الصعوبات التي يواجهها أفريقيا الغربية بالقياس إلى القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

فأصبح الطالب أو الطالبة يقضي بضع سنين على تحفيظه إلى أن يتخرج حافظًا وما يزال في العقد الثاني من عمره. وقد رأيت أنا _ كاتب هذا المقال_ طالبًا ذكياً من هذه الولاية _ولاية كوغي، نيجيريا_ قضى تسعة أشهر في هذا المضمار، وكان حفظه حفظًا جيدًا.

3- المعاهد العربية الإسلامية: عبارة عن حجرة جلوس الشيوخ في منازلهم، هذه الحجرة قد تكون كبيرةً أو كبيرةً حسب إمكانيات أصحابها، وقد تكون مفروشةً بحصرٍ أو فراءٍ، وقد لا يكون هنالك فراشٌ إلا في مجلس الشيخ وحده خصوصًا إذا كان قاضي قضاة المدينة أو وزيرًا. فهي حجرة الشيخ مع ضيوفه، وفي الوقت نفسه معهد دروسه. وأما الشيخ الذي يلقي الدروس فلا يشترط عليه أن يتحصل على إجازاتٍ في المواد التي نصب نفسه لتدريسها، ويكفيه أنه واثقٌ بنفسه وقدرته في تدريسها، لأنه درسها على الطريقة التقليدية، وهو مستعد أن يكسب ثقة طلاب العلم التي عليها المعول، وينقسم هؤلاء الشيوخ إلى قسمين: متفننين ومتخصصين، ومعنى التفنن: هو أن يجمع العالم بين علم أصول الدين، والشريعة، واللغة. والتخصص: هو مقدرته على تدريس واحدٍ من الأقسام الثلاثة. وهنالك من يختصون في تدريس كتابٍ واحدٍ، كاختصاص علماء مدابو[20] في تدريس مختصر خليل بن إسحاق[21].

أما طريقة الدراسة فهي عبارة عن الابتداء بالكتب الدينية السهلة ثم قراءة بعض كتب اللغة، ثم كتب النحو، ثم الحساب ثم التفسير ثم الحديث ثم الصرف والبلاغة ثم التاريخ والمنطق والعروض، وقد يدرس الطالب جميع هذه الفنون عند أستاذٍ واحدٍ إن كان متفننا، وقد يعدد أساتذته إذا شاء، أو ينتقل من معهدٍ إلى آخر[22]، ومن أجل ذلك، يقضي الشيخ ساعاتٍ طويلةً في التدريس، ويستغرقه ذلك في معظم الأحايين من الصباح إلى المساء، إذ ليس له عمل آخر غيره، ولا يتقاضى عليه مرتبًا شهريًا، وإنما يقوم به ابتغاءً وجه الله، وحبًا في نشر العلم، ويعيش أغلبهم على إحسان الأغنياء وطلبتهم إليهم[23] وكتاب " تعليم المتعلم"[24] الذي وضعه برهان الدين الزرنوجي من علماء القرن الخامس الهجري، هو الأسلوب والمنهج المتبع في تلك المعاهد والمدارس، والكتاب نفسه مقرر على التلاميذ يدرسونه في السنوات الأولى للتعليم، ليجعلوه قانونًا ودستورًا يعملون بإرشاداته وتوجيهاته[25]. لقد كثرت هذا النوع من المدارس، وتعددت المجالس العلمية لا في سكتو[26] وحدها التي أصبحت في العصر الفودي[27] عاصمة الدولة، ومركزًا جديدًا للعلم والثقافة، بل في المراكز الأخرى[28] على أنه من الصعب جدا معرفة عدد تلك المدارس، لأنها لم تكن تابعةً لأي نظام رسمي، ولا لأي مؤسسةٍ معروفةٍ فليست مثلاً كالمعاهد الدينية التابعة للأزهر في العهد القديم تلك المعاهد التي تدخل في نظام الأوقاف وإذا لم يفتح عالم بابه على مصراعيه لطلبة العلم من سواد الشعب، فإنه يدرس على أقل تقدير لأصحابه وعشيرته الأقربين[29] ولقد ذكر الشيخ عبد الله بن فودي[30] في قصيدته الجيمية وجود علماء، ومدارس، يلتف حولها طلبة العلم، حيث يقول:

ومدارس أضنى[31] بحب شهودها فيها نجاح حوائج المتحـــوج
وجحاجح[32]علماء يحلب رفدهـم كلٌ كبحر في العطا متموج[33]

ومن الأهمية بمكان، أن العالم العربي في مجتمعات غرب أفريقيا من القرون الماضية إلى اليوم، كان يتمتع بتبجيلٍ، وإجلالٍ، يكاد يبلغ حد التقديس، وذلك، لما يمتاز به من ثقافةٍ دينيةٍ راقيةٍ، يلتف حوله

عدد من الناس ليتعلم وليتثقف، ولايزال العلماء يتمتعون بهذه المكانة إلى يومنا هذا، وخاصة أصحاب الطرق الصوفية[34].

4- المدارس العربية النظامية الحديثة: المدارس العربية النظامية الحديثة عبارة عن الإصلاحات الجديدة التي ظهرت في أساليب التعليم العربي الإسلامي النيجيري، وقد عرفت المدارس العربية النظامية الحديثة في نيجيريا في أوائل القرن العشرين[35]، وأول مدرسة مبنية اختصت للتعليم العربي على النظام الحديث هي مدرسة الشريعة الإسلامية التي تعاون أمراء شمال نيجيريا على تأسيسها، عام 1934م، في مدينة كنو[36] بقصد تخريج القضاة الشرعيين. وانتدب للتدريس فيها علماء من كلية غوردون بالخرطوم، وأنجبت المدرسة النواة الأولى للطبقة المثقفة بالثقافتين (العربية والإنكليزية) في شمال نيجيريا[37].

فهذه المدارس جرى تأسيسها على أيدي أفراد، وجماعات من المسلمين الغيورين على دينهم، لنشر التعليم العربي الإسلامي، وحماية الإسلام والذود عن مصالحه، ولتوعية أبناء المسلمين توعيةً ثقافيةً إسلاميةً تقيهم من آفة الشرك التي عمت البلاد، ومن فتنة الإلحاد[38]، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدارس يجري تمويلها عن طريق جهودٍ ذاتيةٍ، وتبرعاتٍ تجمع من الأفراد المحسنين، ومن الأثرياء الصالحين، ويقوم بالتدريس فيها المدرسون المحليون من خريجي هذه المدارس ذاتها. ومن حملة الشهادات الجامعية من الأقطار العربية، والجامعات النيجيرية، ويشاركهم في التدريس، المبعوثون الأزهريون[39]، ولهذه المدارس فضل عظيم في تثقيف المسلمين، وفي إرشاد أبنائهم إلى سواء السبيل، فعن طريقها، ينجح بعض المتعلمين باجتياز جميع المراحل التعليمية، بل تمثل الأساس الصلب الذي يبني عليه خريجوها ما بقي لهم من حياتهم الدراسية والثقافية[40].

ولها الفضل في إنتاج الأئمة، والقادة، والزعماء، والعلماء، والقضاة، والوزراء، والمحاضرين، وأساتذة الجامعات والدعاة الكبار، ورجال السلك الدبلوماسي، وغيرهم من الأعلام، والفحول الراسخين في العلم، ومن مزاياها أنها تغذي المعاهد العليا بالطلاب المتخصصين في اللغة العربية، والدراسات الإسلامية في جامعات نيجيريا، إذ أن أقسام اللغة العربية والإسلامية في جامعات نيجيريا تعتمد أساسًا على خريجي هذه المدارس العربية الخاصة في تنفيذ برامجها الأكاديمية[41]، ومن أشهر المدارس العربية النظامية في نيجيريا، مركز التعليم العربي الإسلامي في لوكوجا[42] عاصمة ولاية كوغي، لفضيلة الشيخ يوسف عبد الله اللكوجي، ومركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغى، لاغوس، عاصمة نيجيريا القديمة، لفضيلة الشيخ آدم عبد الله الإلوري[43]، والزمرة الأدبية الكمالية بمدينة إلورن، ولاية كوارا، لفضيلة الشيخ كمال الدين الأدبي وغيرها في أنحاء نيجيريا.

لقد رفعت المدارس الحديثة مستوى اللغة العربية والدين في البلاد خصوصًا بعدما أدخلت تجديداتٍ عديدةً، وقد كانت لها المناهج، والكتب المقررة، وما إلى ذلك، من النظم المدرسية الحديثة، وكان المتخرجون فيها من المدرسين بعد التجديدات اللازمة، ينالون شهادات التدريس، ويتقاضون رواتب كرواتب غيرهم من

مدرسي المواد الأخرى. كانت لهذه التغييرات أهمية كبيرة في تاريخ التعليم العربي الحديث في نيجيريا. فقد رفعت لأول مرة الروح المعنوية للمدرسين[44].

وبتعدد المدارس العربية، تعدد الناطقون بها، وكتبوا بها وألفوا، الأمر الذي ألجأ الحكومة الاتحادية، والولائية، والخصوصية المحلية إلى إدخال اللغة العربية من بين المواد التي تدرس في المراحل التعليمية بأسرها. وقد انتشرت الآن معاهد عربية إسلامية في كل قطر من أقطار غرب أفريقيا، بفضل الذين قصدوا بلاد العرب، وأكملوا تعليمهم هناك، أو من الذين لم يرتحلوا إلى خارج نيجيريا، وإنما تلاقوا العلوم على أيدي العلماء التقليديين النيجيريين.

أما الذين نبغوا وبرعوا من أهل البلاد في التأليف، نثرًا وشعرًا، فكثير جدًّا، وعلى سبيل المثال، الشيخ عثمان بن فودي، المجاهد الأكبر، ومؤسس الدولة الإسلامية بشمال نيجيريا، والشيخ عبد الله بن فودي، الملقب بنادرة الزمان، وعلاّمة السودان، ذو المؤلفات العديدة[45]، والشيخ محمد بلّو بن عثمان، ولكلٍ منهم ما لا يقل عن سبعين كتابًا في مختلف العلوم العربية والإسلامية، منظومًا ومنثورًا، وأما في الآونة الأخيرة، على سبيل المثال لا الحصر، ففيهم الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ أبوبكر عتيق الكنوي، والشيخ الوزير جنيد الصكتي، والشيخ يوسف عبد الله اللكوجي، والشيخ محمد الناصر الكبري الكنوي، ولعل الأخير، أكثرهم إنتاجًا.

لقد ذكر الدكتور المتبولي بن الشيخ محمد الناصر الكبري، خمسًا وخمسين ومائة كتاب من مؤلفات أبيه في كتابه الموسوم بـ"صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري: دراسة بلاغية تحليلية لنماذج مختارة"[46] ومن أشهر مؤلفاته، ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الهوسوية.

ومن نماذج شعر الشيخ محمد الناصر الكبري في الزهد، وذكر الموت، ورثائه على نفسه حيّا قوله:

يا رب إني والأكوان أجمعهـــــــا ... في طي كفك بين الكاف والنون[47]
وقد أسأت ولا تخفاك خافيـــــــةٌ ... وكل سرٍ لديكم غير مكنـــــون
فارحم هوائي ولاحظ مهجتي كرمـــاً ... بعين فضل ولطف غير ممنـون
وانظر تقطع أوصالي وقد دفنـــت ... وسن فوقي تراب غير مسنـــون
واعطف علي إلهي عـندما ذهبـت ... تراكبي وتصاويري مع الطـيـن
وصرت رهنا لدى الأموات منغلقًـــا ... وطالما عرفوني غير مرهـــون
وعدت نسيًا تريكًا في القبور وقـــد ... ألفت من قبل أن آت ويأتـــون
فلست أذكر لا باسمٍ ولا لقـــــبٍ ... من بعد ما لقّبوني ناصر الديـن
ودعت داري قهرًا والعيال وكنـــز ... الكتب نهب تراث غير محـــزون
كأنني لم أقم يومًا بزاويـــــــةٍ ... تهتز بالذكر في قوم يهزونـــي
أو لم أجل في نواحي القطر مجتهدًا ... في نشر أذكار سادات مربـــوني

أو لم تدر بي كئوس الخندريس على حين الأحبة صرف الراح يسقوني
أو لم لم أقم مفتيًا في الحكم مقتفيًا نهج الفتوة لما أن أضاعوني
هذي دموعي وحالي غير خافيةٍ وحق عهدك إلا أن تفكوني
كن لي وإلا فمن أرجو لنائبتي أمعشرًا قد نشاهم أن يسبوني
بحق حبيك يا مولاي في أزل انظر إلي بسر الكاف والنون

هذا غيض من فيض من أشعاره ذات اتجاه صوفي. وقد يخرج الشاعر عن الحد المألوف فيقرض المادح قصيدة تهملها من النقط قصداً، ولعل ميمية الشيخ الناصر الكبري تمثل هذا الجانب لهذا النوع من القصيدة، استمع إليه حيث يقول:

أعلى سلام لأعلى الرسل إعلاما وأكرم الرسل أحلاما وإسلاما[48]
محمد أحمد المحمود حامده المملإ الروح أسرارا وأحكاما
أحدو مدائحه وعسى أحوط لها لدى إله الورى المعطاء إكراما
ما أرسل الله أعلى سرمدا أحدا كأحمد العلم المعلوم إعلاما
أولى لكل علا أدلى لكل ملا أحمي كلاما وأولى الدهم إكلاما
طه الطهور الرد المحاص كل ردى أحاط سورا على الإسلام أهراما
مدح المكرم حمد والكرام لهم لئالئ المدح إملاء وإحكاما
عسى أحل على الأمداح أوسطها أطول المادح السحار أحلاما
أطول ما دحم ما سال سائلها مه مه ومهمه هاء طاول اللاما
وهو المحال له لسعد طالعه وطول طائله والحاسم إلهاما
حام حماه رعاه الله أكمله وصل الملاح ولاح الراح إلهاما

وإذا نظرنا إلى القصيدة بأسرها مرة ثانية، فإننا نراها خالية من النقط، ولم تذهب ديباجة الشعر في المعنى والمضمون. وإن دلت على شيء، فإنما تدل على أن شعراء نيجيريا قد بلغوا في مجال الشعر العربي منتهاه، ومع ذلك، يرون أنفسهم مبتدئين في مضمار الشعر، تواضعاً لله، وتأدبًا بآداب الإسلام وتعاليمه.

دور أساتذة اللغة العربية في الجامعات النيجيرية:

لقد كان لأساتذة اللغة العربية والباحثين في فنون ثقافتها، دور مهم في بناء كيان الطبقة الراهنة من طلاب العلم والمثقفين في نيجيريا، وساعدوا في تقدم الوطن وثقافته على وجه العموم، فإنهم جزء من المواطنين الذين ساعدوا على نشر الثقافة، والتعليم، والوقوف على الحقائق العلمية، والتاريخية، والاجتماعية، والأدبية عن طريق الدراسة، وإعداد البحوث القيمة في مختلف الميادين الفنية، واللغوية، والاجتماعية، وغير ذلك.

ويمكن اختصار هذه الأدوار في النقاط التالية:

أ- مساعدتهم الأمة على تذوق الأدب العربي، وخلق الشعور الأدبي الأصلي في عقلية الدارسين عن طريق دراسة النصوص الأدبية، وتاريخ الأدب العربي.[49]

ب- العمل على ترقية مستوى الثقافة العربية في نيجيريا، وتسرب اللغة العربية الفصحى بين الأفراد وإلمامهم بفنونها الدراسية، وميادينها الثقافية.

ت- كما ساعدوا على تفقه الإسلام وشريعته بحكم إتقان العلماء، والدعاة، والواعظين للغة العربية، وقواعدها التي تساعد على فهم النصوص الإسلامية.

ث- دورهم في إيصال المواطنين إلى معرفة الحقائق التاريخية، وخاصة في ما يمس اللغة العربية وأهلها منذ ابتداء عهدها التاريخي إلى العصر الحاضر[50].

ج- انتشر التأليف باللغة العربية، وخاصة في الميادين الأكاديمية العالية، والبحوث التي يقدمها الطلاب على شفا تخرجهم من الجامعات، والمعاهد العليا للحصول على درجة الدبلوم، أو الليسانس، أو الماجستير أو الدكتوراه [51] وكذلك البحوث المنتشرة في المجلات الأكاديمية، والمقالات التي يقدمها المشاركون في المؤتمرات، والندوات، وورشات العمل الأهلية والدولية.

ح- وفرة المصادر والمراجع الأصلية في فنون اللغة العربية، والثقافة الإسلامية في المكتبات العامة والخاصة، وفي أسواق الكتب.

خ- العلاقة الدبلوماسية، والثقافة القومية بين نيجيريا وبين بلاد العرب عن طريق البعثات العلمية، والتبادل الثقافي.[52]

د- إنشاء المدارس لتعليم اللغة العربية دهيليزيةً ونظاميةً.

حركة علماء غرب أفريقيا في التأليف:

إن الإنتاج الأدبي في كل زمان ومكان إنما يقوم على النضوج العلمي في قواعد اللغة، ومحفوظات الشعر، وأن بلاد العجم تختلف تمامًا عن بلاد العرب في قوة هذا النضوج، إذ الإسلام هو الذي كان ولا يزال يمهد السبيل للأدب العربي في بلاد العجم كما أن النضوج الأدبي يحتاج إلى زمن حتى يبلغ العجم مبلغ العرب في الإنتاج، وإنما يتعلم المسلمون اللغة العربية بالدرجة الأولى ليتفهموا بها أصول دينهم، أما تعلمهم العربية للإنتاج الأدبي ففي الدرجة الثانية، ومن ثم، يزدهر الأدب العربي الذي يقوم على الثقافة الإسلامية المعتمدة على القرآن، والحديث، والفقه، وما يتصل بها من قواعد اللغة، كالنحو، والصرف، والبلاغة، فيستفيض الإنتاج في الشعر والنثر[53].

والقليل ممن ينشرح صدره بكتابة شعرٍ أو نثرٍ إذا كتب شعرًا أو نثرًا جرّد اسمه من مؤلفاته على أن يكتفي بمعرفة أصحابه وتلاميذه أن الكتاب من تصنيفه وتأليفه لئلا يرغب الناس عن اقتنائه إذا عرفوا أنه من تأليف واحدٍ منهم[54]، ومع ذلك وجد من اجترأ على قول شعرٍ فأجاد، وعلى تأليف كتابٍ فأفاد، وبلغ

في ذلك القمة، ووصل الذروة التي لا يبلغها أبناء العرب عفوًا بلا تعب، مع عدم توفر الأسباب، وعدم مساعدة السليقة لهم كأبناء العرب، ولم يهرب من نسبة شعره أو نثره إليه[55].

مشكلات تعرقل الثقافة العربية في غرب أفريقيا:

هنالك عديد من المشكلات التي تعرقل تقدم هذه الثقافة العربية في غرب أفريقيا، أهمها:

1- غلاء الكتب العربية في نيجيريا.

2- عدم وجود الكتب التي تناسب مستوى أولادها.

3- قلة المطابع العربية في البلاد.

4- تدهور اقتصاد غرب أفريقيا بما فيها نيجيريا في أسواق الدول العالمية.

ولكنه يمكن التغلب على جميع هذه المشكلات بربط أواصر العلاقات الثقافية بين نيجيريا وبلاد العرب خاصة، والعالم الإسلامي عامة.

التوصيات لحل هذه المشكلات كالآتي:

1- اهتمام أولياء الأمور وخاصة الحكومات النيجيرية الثلاث (الاتحادية والولائية والمحلية) بشأن اللغة العربية بفرضها على المسلمين في المواد التي تدرس في جميع مراحل التعليم، واختياريّا لغير المسلمين.

2- دعوة الأساتذة الجامعيين ذوي الخبرة في ميدان التعليم والتدريس، إلى تأليف الكتب المدرسية التي تناسب أذواق طلاب مسلمي نيجيريا في جميع المستويات التعليمية، بدايةً من الحضانة إلى الجامعية.

3- استيراد الكتب العربية والإسلامية من الدول العربية، وبيعها بثمن رخيص، يستطيع الدارسون والمعلمون والباحثون على اقتنائها بكل سهولة، أو إحداث المطابع العربية بالجامعات النيجيرية، والمعاهد العليا خاصةً، وأفريقيا الغربية عامةً، ترغيبًا في التعليم العربي الإسلامي بالمنطقة.

4- مكافأة النابغين من طلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية، خصوصًا الذين نجحوا في امتحاناتهم الدراسية بامتياز، وتوظيفهم إثر تخرجهم من الجامعات.

5- تقديم الرواتب الشهرية إلى العلماء التقليديين الذين يدرسون أولاد المسلمين في دهاليزهم؛ لأن معظمهم لا يتقاضون أجورًا شهريةً من أي جهة، وإنما يعيشون على إحسان الأغنياء لهم، ومن قبل طلبتهم أحيانا أخرى.

الخاتمة:

لقد أخذت غرب أفريقيا من الثقافة العربية، والعلوم الإسلامية قسطًا لا يستهان به، وقد ظهر من نبغ من أبنائها كأبناء العرب، فألفوا، وشرحوا، ونظموا، ونثروا باللغة العربية. وكانت كتبهم أحيانًا تضاهي مؤلفات بعض العرب في انسجام الأساليب، أو انسياق التراكيب، فالثقافة العربية في أفريقيا الغربية لها تاريخٌ قديمٌ قدم الإسلام فيها، وفيها رجالٌ عاهدوا الله على إحيائها مهما كانت الظروف، نطقًا، وكتابةً، وتأليفًا، ودعوةً. فمن أجل إحيائها ونشرها، أنشأوا المدارس العربية بمراحلها المختلفة في مدن غرب أفريقيا وقراها.

مراجع البحث ومصادره:

1- غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، شركة العيكبان للطباعة والنشر، ط3، الرياض، 2008م، ص17_18.
2- المرجع نفسه، ص18.
3- المرجع نفسه، ص18.
4- بدماصي، مرتضى، مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، شركة رمساديك فتنشور للكمبوتر، لاغوس، 1996م، ص3.
5- المرجع نفسه، ص8.
6- الإلوري، آدم عبد الله، لباب الأدب، مطبعة الثقافة الإسلامية، ط2، أغيغى_لاغوس، 1980م، ص52.
7- الإلوري، آدم عبد الله، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار النور، ط3، لاغوس، 1980م، ص143.
8- المرجع نفسه، ص144.
9- المرجع نفسه، ص144.
10- كبير، أبوبكر أمين، فصول في تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية، دار الأمة لوكالة المطبوعات، ط3، كنو، 2014م، ص141.
11- أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، مؤسسة عبد الحفيظ، البساط، بيروت، 1972م، ص52.
12- الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا، مطبعة الثقافة الإسلامية، ط2، أغيغى_لاغوس، 1978م، ص52.
13- المرجع نفسه، ص52.
14- المرجع نفسه، ص53
15- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص152.
16- غلادنثي، حركة اللغة العربية في نيجيريا وآدابها، ص47_48.
17- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص154.
18- مي الستين بلغة هوسا، ومعناه الذي يحفظ الستين حزبًا في القرآن.
19- ومن الجدير بالذكر أن التوعية الإسلامية تزداد كل يوم بفضل الجمعيات الإسلامية المتكاثرة في عواصم البلاد وقراها، فلا تجد مدينةً أو قريةً إلا وفيها مدارس تحفيظ القرآن.
20- اسم حارة في مدينة كنو.
21- هو كتاب في الفقه المالكي، مشهور بصعوبته لتناهي المؤلف في الاختصار فيه، ومن أجل ذلك، كثر شارحوه. لأن المذهب المالكي هو المشهور في البلاد، والمعمول عليه في المحاكم الشريعة.
22- أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص156.
23- المرجع نفسه، ص158.
24- هذا الكتاب بمثابة المناهج الدراسية العامة لطلبة العلم بالمنطقة.
25- الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص54_55.
26- مقر الدولة الإسلامية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي، عام 1804_1903م.
27- العصر الفودي من العصور الأدبية في نيجيريا. ويعد هذا العصر بمثابة العصر الذهبي للغة العربية في نيجيريا. وقد كثر فيه العلماء والمؤلفات العربية الإسلامية إلى حد لا يتصور.
28- مثل غوندو، وزاريا، وكثنه، وكنو في المنطقة.

29- غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص70.
30- من أكبر حماة الثقافة العربية في غرب أفريقيا، وله أكثر مائة كتابٍ في مجالات اللغة العربية والإسلامية والشريعة.
31- أضنى لزم الفراش من الضنى وهو المرض أو الهزال الشديد. والمعنى يشتاق إلى تلك المدارس شوقًا يضنيه.
32- الجحاجح جمع الجحجاح وهو السيد السمح الكريم.
33- بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، مكتبة أبي بكر أيوب، ط1، كنو، 1383هـ،ص20.
34- غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص47.
35- الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص152.
36- من أكبر مدنٍ تجاريةٍ، وثقافيةٍ، وإسلاميةٍ في نيجيريا.
37- الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص152.
38- اولادوشو، عبد الغني عبد السلام، " إعادة النظر في مناهج المدارس العربية الخاصة في بلاد يوربا"، جامعة ولاية لاغوس، العدد الأول، 2003م، ص180.
39- المرجع نفسه، ص181.
40- المرجع نفسه، ص181.
41- المرجع نفسه، ص181.
42- ومنه تخرج الأستاذ الدكتور موسى عبد السلام مصطفى أبيكن.
43- تخرج ما يزيد على عشرة آلاف مثقفين في شتى العلوم العربية والإسلامية، وتفرعت عنه عدة مدارس عربية، ومراكز ثقافية في نيجيريا، وبنين_ الداهومي_، وغانه، وأبيدجان. ويبلغ عدد خريجي تلك المراكز والمعاهد خمسين ألفًا بواسطة تلامذته والمقتبسين منه، وقد أسلم على يديه خلقٌ كبيرٌ، يتراوح عددهم ألف معتنقٍ.
44- غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص84.
45- وقد لقب بصاحب الضياءات، لأن كثيرًا من مؤلفاته العربية، تحمل في عناوينها كلمة : " ضياء"، مثل : "ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام"، و " ضياء الإمام"، و " ضياء السلطان"، و " ضياء التأويل في معاني التنزيل"، و " ضياء الأمة في أدلة الأئمة"، و " وضوء المصلّي"، و " ضياء السند"، و " ضياء السياسات" " وما إلى ذلك من العناوين. انظر: الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب أفريقيا لعبد الرحيم عيسى الأول، ص 180.
46- رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية من جامعة بايرو كنو، 2012م.
47- محمد الناصر الكبري بن محمد المختار، سبحات الأنوار من سحبات الأسرار، طبع على نفقة الحاج شريف بلا، سنة النشر ومكانه غير مذكورين، ص 144_146.
48- المرجع نفسه، ص52_53.
49- كبير، فصول في تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية، ص163.
50- المرجع نفسه، ص163.
51- حملة شهادات الدكتوراه في نيجيريا الحالية مئات، ولا تسأل عن أصحاب الماجستير والليسانس في اللغة العربية وآدابها.
52- كبير، فصول في تاريخ الأدب العربي، ص167.
53- الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 2012م، ص12.
54- المرجع نفسه، ص14.
55- المرجع نفسه، ص14.